لم يكن حفظ القرآن جميعه شـائعا فى عهد النبى كما شـاع بعد، فكان حفظ القـرآن موزعا على الصحابة، قال أبو عبد الرحمن السـلمى: حدثنا الذيـن يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسـعود وغيرما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا فيها مـن العلم والعمل كان يحفظ ولا ينتقل من آية إلى آية حتى يفهم. فى القـرآن آيات كثيرة محكمة واضحة المعنى، وهى التى تتعلق بأصول الدين وأصـول الأحكام، وخاصة منها الآيات المكية التى تدعو إلى أصول الدين كسـورة الأنعام؛ وهذا النوع من الآيات يسـتطيع فهمه جمهور الناس ولا سيما من كانوا عربا بسليقتهم؛ وفى القرآن آيات غامضة هى التى سميت متشابهة، ولم يصل إلى معرفتها إلا الخاصة. وكان من الصحابة على العموم أقدر الناس على فهـم القرآن، ومع هذا فقد اختلفوا فى الفهم على حسب اختلافهم فى أدوات الفهم، ١ ـ أنهـم كانوا يعرفـون العربية على تفاوت فيما بينهـم وإن كانت العربية لغتهم، فمنهم من كان يعرف كثيرا من الأدب الجاهلى، ويستعين بذلك فى فهم مفردات القرآن، ويشـاهد الأسباب التى دعـت إلى نزول الآية، ومعرفة أسـباب التنزيل من أكبر ما يع ين على فهم المقصود من الآية، والجهل بها يوقع فى الخطأ. ٣ ـ كذلـك اختلافهم فى معرفة عادات العرب فى أقوالهم وأفعالهم، فمن عرف عـادات العرب فى الحـج فى الجاهلية اسـتطاع أن يفهم آيـات الحج أكثر ممن لم يعرف، وهكذا وكذلك الآيات التى وردت فى التنديد بمعبودات العرب وطريقة عبادتهم لا يكمل فهمها إلا لمن عرف ماذا كانوا يفعلون؟ ٤ ـ ومثـل هذا معرفة ما كان يفعلـه اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول الآيات، ففيها إشـارة إلى أعمالهم ورد عليهم، وهذا لا يتم فهمه إلا بمعرفة مـا كانوا يفعلون، من ذلك ونحـوه كان الاختلاف بين الصحابـة فى الفهم، وكان التابعون ومن بعدهم أشد اختلافا. هناك تفسير يسمى التفسير بالمنقول ويعنون به: حتـى كانت كتب التفسـير المؤلفة فى العصور الأولى مقصورة على هذا النحو من التفسير. يعرف المفسر كلام العـرب ومناحيهم فى القول، ويعـرف الألفاظ العربية ومعانيهـا بالوقوف على ما ورد فى مثله من شـعر الجاهلى ونحوه، ويقف على ما صح عنده من أسـباب نزول الآية مسـتعينا بهذه الأدوات ويفسرها حسـب ما أداه إليه اجتهاده، مثل كثير مما ورد عن ابن عباس وابن مسعود، فهذا الاختلاف نتيجة اختلاف فى الرأى، لا نتيجة اختلاف فى المنقول، وقد اختلفوا فى معانى الآيات خلافهم فى معانى الألفاظ. فإذا سمعوا قصة كلب أصحاب الكهف قالوا: ما كان لونه؟ وإذا سمعوا «فقلنا اضربوه ببعضها» تساءلوا: ما ذلك البعض الذى ضربوا به؟ وما قدر سفينة نوح؟ وما اسـم الغلام الذى قتلـه العبد الصالح فى قصة مـوسى معه؟ وإذا تتلى عليهـم «فخذ أربعة من الطير «قالوا: ما أنواع هذا الطير؟ وما هى الكواكب التى رآها يوسـف فى منامه؟ وكذلك إذا سـمعوا قوله تعالى فى قصة موسى مع شعيب سألوا: أى الأجلين قضى موسى؟ وهل تزوج الصغرى أو الكبرى؟. فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم. وأكثر من روى عنه منهم: على بن أبي طالب، وإذا نحن ألقينا نظرة على ما روى من التفسـير عن ابن عباس وغيره وجدنا منبعه هو الأشـياء الثلاثـة التى ذكرناها قبل: نقل عـن النبى أو رواية حوادث وقعت أمامهم توضح معنى الآية، واجتهادهم فى الفهم معتمدين على الأدب الجاهلى ،ومعرفتهم بلغة العرب والعادات التى كانت فاشية فى الجاهلية وصدر الإسلام

Summarized by © lakhasly.com